

من الغباء استثناء الدين من العلاج

المخدرات تهدد تماسك المجتمع الجزائري وتمسكه بإسلامه



أ. رشيد شبلائي*

حكمتها فقيه من الفقهاء ولا مذهب من المذاهب، بل جعلوها من أكبر الكبائر، وذكروا فيها أكثر من مائة وعشرين مضرّة دينية ودنيوية.

ولا ينبغي لنا أن نتجاهل - ونحن نتكلم عن خطر المخدرات- ما يخططه أعداء الدين والوطن من الذين لا يرضيهم تماسك المجتمع الجزائري وتمسكه بدينه، فهم يستعملون كل الوسائل والطرق لشل طاقات هذه الأمة وقتل نفوس أبنائها، عن طريق سلخه عن مقوماته، والقذف به إلى جحيم المخدرات، يقول أحدهم لزوجيها: "عليكم أن تهتموا باستدراج الشباب والطلبة بوجه خاص، ولا خشية من ارتفاع الثمن، فالهم أن يصل النوع في البداية إلى الشباب ولو مجاناً، وبعد ذلك سيحصل الشباب على الثمن وبأي طريق".

ومما يحتفظ به التاريخ لنا في صفحاته، أن بريطانيا لما أرادت أن تحتل مصر شجعت الشعب على زراعة الأفيون، ونفس الشيء فعلته مع الصين عندما حثت عملاءها على زراعة الحشيش في أرض الصين، وهو ما مكنتها من استعمار البلد لأكثر من ثلاثة قرون، فالمخدرات سلاح خطير في يد الأعداء، ويزداد الأمر خطورة عندما تنفحص حال مجتمعنا، فنجد فتنة كبيرة وشريحة واسعة من الشباب يتنون تحت وطأة المخدرات والإدمان.

إن علماء التربية ودعاة الإصلاح يدقون ناقوس الخطر

ويصرخون بأعلى صوتهم، أن أوقفوا علينا هذا الخطر الداهم، فكم من أوقات تضيق، وكم من طاقات تهدر، فلا يقابل هذا الصراخ إلا بصمت رهيب، ومع ذلك يبقي المدمنون يضرون بأنفسهم ويقتلون أنفاسهم دون ألم أو تأثير، بل ربما اعتقدوا أن لا شيء يضرهم أو يضر مجتمعهم.

ولعل المشكلة اليوم لم تعد مشكلة مجموعة من المهربين همهم أن يجمعوا الأموال ولو على حساب مستقبل أبناء هذا الوطن، ولا هي قضية يمكن حلها ببناء مجموعة من المستشفيات لاستقبال هؤلاء المدمنين، وإنما القضية تكاد أن تتجاوز الجميع، فلا نستطيع حلها ولا التحكم فيها، لأن ما وصلنا إليه اليوم هو نتيجة لمجموعة من الأسباب والمقدمات.

فغياب الوازع الديني في القلوب، والفرغ القاتل الذي يعيشه شبابنا، جعله لا يتورع في أن يمد يده إلى هذه المواد بكل أنواعها، يبعها أو شراء أو تهريباً، لأنه يرى - ينظره القاصرة - أن هذا الطريق سيحقق له السعادة التي يبحث عنها، أو ينسيه جزءاً من المشاكل التي يعيشها، مع أن هذه السعادة والراحة والاطمئنان لا يمكن أن تكون في غير تعاليم الإسلام وتشريعاته، فقد أكد الله تعالى في القرآن الكريم أن من أعرض عن طريقه وهديه وأتبع طريق الشيطان: "فإن له معيشة ضنكاً" وطريق المخدرات طريق الشيطان، ولا يمكن

● من منا لا يتأثر وهو يقرأ تلك القصص المفجعة التي تنشر على أعمدة الصحف كل يوم؟ هي قصص تحرك المشاعر وتريك الألسن، ويعجز العقل عن تصديقها في كثير من الأحيان، فهذا ابن يقتل أمه، وذاك رجل يقتل زوجته وأولاده، وهذه جريمة اغتصاب، وتلك حادثة مرور... والقائمة تطول، فهل يستطيع إنسان في كامل وعيه أن يرتكب مثل هذه الجرائم؟ والجواب، لا، ولكنه الإدمان على المخدرات.

إن تأثير المخدرات خطير، فهو لا يقتصر على عقل الإنسان فحسب، بل يشمل كل جوانب حياته الصحية والنفسية والاجتماعية والأخلاقية، حي يصاب المدمن بموت الضمير، وفساد الأخلاق، وفقدان الإحساس بالكرامة التي ميزه الله بها، فينزل إلى مستوى الحيوانية التي لا تليق بكرامة البشر، ومن ثمة فقد أجمع علماء الإسلام على تحريمها تحريماً قطعياً منذ أن ظهرت وعرفها الناس، ولم يختلف في

لطريق الرحمان أن يلتقي بطريق الشيطان.

وما زاد الطين بلّة وعمق المشكلة بشكل كبير، هو ذلك الإعلام المدمر للقيم والأخلاق، فكم من قنوات فضائية صارت اليوم متخصصة في نشر الفساد والدعوة إليه بطريق مباشر أو غير مباشر، وكم من أفلام هابطة تروج لشرب الخمر وتناول المخدرات، وكم من أفلام مسمومة ليس لها من هدف إلا ضرب قيم المجتمع وتدمير بنائه المرصوص، وفي زحمة هذه الفتن والمصائب يبقى الإعلام الهادف، وأصحاب المبادئ الأصيلة وحدهم يواجهون هذا الزحف المتورد والخطر الداهم.

إن المطلوب من شبابنا اليوم أن يصححوا من غفلتهم ويستيقظوا من نومهم، وينتبهوا إلى ما يخطط لهم الأعداء، ثم عليهم أن يدركوا بأن دورهم في بناء وطنهم، وأن المسؤولية التي تنتظرهم تجاه مجتمعهم، أكبر من أي نزوة عابرة، أو لذة فانية، والشيء الأكد أن حاجتنا اليوم - أكثر من أي وقت مضى إلى شباب واع بواجباته، مستقيم على الأخلاق وصامد أمام التحديات التي تواجهه، ولا يحصل ذلك إلا إذا عرفنا كيف نربي أولادنا ونحسن أديهم، وعرفنا كيف نختار لهم الأصدقاء ونجنبهم رفقاء السوء.

*باحث جامعي - وإمام

بمسجد حمزة

بن عبد المطلب

حي بن عجال - بوداوا